

التدافع الحضاري: مظهره وآلياته

د/ بوفلجة غيات

كلية العلوم الاجتماعية

جامعة وهران

1. مقدمة

ونحن في مجتمع المعرفة، عصر الذرة وتكنولوجيا الإعلام والاتصال، اعتقد البعض أن الدراسات الحضارية والتاريخية والإنثروبولوجية، مجالات علمية قد أصبحت من الماضي. إلا أن التحولات السياسية، والكتابات الفكرية والإستراتيجية، كحوار وصراع الحضارات، ونهاية التاريخ، أحييت الاهتمام بموضوع الحضارة، بل أصبح من أهم اهتمامات المفكرين والقراء.

يعرف العالم تفاعلات حضارية، اختلف الباحثون الاجتماعيون والفلاسفة في الاتفاق على مفهوم واحد للدلالة عليها. وهكذا نجد مجموعة من المفاهيم المتداولة، كحوار الحضارات وصراع الحضارات وتدافع الحضارات، وهي اختلافات لها انعكاسات وتداعيات، وهو ما يتطلب دراسات لإلقاء الضوء عليه وتعميقه.

لقد عرف التاريخ تدافع الحضارات منذ ظهور الإنسانية على وجه البسيطة، فظهرت خلافات وصراعات وحروب، واستعمار وهيمنة واستغلال وعبودية وانتصارات وانهزامات، وكلها مفاهيم تدل على التدافع الحضاري.

وقد عايشت الحضارة الإسلامية هذا التدافع منذ ظهور الإسلام إلى اليوم، وهو ما نلقي الضوء على بعض محطاته، ومظاهره وتداعياته. كما نتطرق إلى آفاق التدافع الحضاري في ضوء الربيع العربي، والصحوّة الإسلامية، التي تعرفها بعض الأقطار.

إن الحضارة مفهوم معقد ومتشابك، فهي شخصية الأمة، بماضيها وثقافتها وقيمها المادية والأخلاقية، بعقيدتها وممارساتها السياسية، ومهاراتها الإنتاجية وأساليب تنظيمها. فهي تشمل كلا من التراث الأدبي والعلمي للأمة، وقوتها العسكرية والاقتصادية والسياسية. هي اللغة والأخلاق وطرائق المعاملات الاجتماعية السائدة، هي إرث الماضي وتفاعلات الحاضر وآفاق المستقبل. هي أحزان ومعاناة ومشاكل وصعوبات وانهزامات، كما أنها انتصارات وأفراح وآمال وطموحات تسعى الأمم إلى تحقيقها.

ولأهمية الحضارة، فهي تحمل شروط استقلال الأمم واستقرارها وبقائها وتطورها وتفاعلها مع محيطها العالمي، في عصر الصراع والمنافسة والمواجهات. كما أن انحطاط الحضارة، قد يؤدي إلى الوقوع تحت الاحتلال والتبعية، ويؤدي إلى التخلف وانتشار الآفات الاجتماعية، وما يترتب عن ذلك من صعوبات وذلّ وهوان. كل ذلك يضع من حضارة الأمة ومقوماتها مجالاً إستراتيجياً، يجب دراسته والعناية به ومنحه حقه من الأهمية.

تتطرق هذه الورقة إلى بعض مظاهر التدافع الحضاري والصراعات الثقافية والإعلامية والعسكرية، وإلى آليات هذا التدافع، من أسر ومؤسسات تربية، ووسائل إعلامية وآلات عسكرية، وغيرها من الآليات والآلات المسخرة في لذلك. وسوف نلقي الضوء فيما يلي على أهم المفاهيم المستعملة للدلالة على التدافع، أو الحوار، وإلى أهم الآليات المعتمدة في هذا التدافع.

2. مظاهر التدافع الحضاري

تطلق على موضوع التفاعل الحضاري مجموعة من المفاهيم، من طرف مختلف الكتاب والمؤلفين والفلاسفة، وذلك باختلاف اتجاهاتهم ومشاربهم الفكرية. وهو ما جعل الاختلاف المطروح موضوعا فكريا وفلسفيا يمكن معالجته والتطرق له من خلال الحوار، وبالتالي يمكن استعمال مفهوم "حوار الحضارات". كما أن التفاعل الحضاري هو موضوع صراع وتطاحن وحروب، تجاوز مرحلة الحوار وبالتالي وجب استعمال مفهوم الصراع والتعامل معه كما هو، أم أن الأمر يتطلب مفاهيم جديدة مستحدثة، وهي جوانب في حاجة إلى توضيح.

1. صراع الحضارات:

يرى بعض الباحثين وجود صراع بين الحضارات، ويعتبرون ذلك أقرب إلى الواقع المعاش، بالنظر إلى ما يعرفه العالم من أحداث، تؤكد الممارسات السياسية لاسيما في الولايات المتحدة، تحت قيادة المحافظين الجدد - في عهد عائلة جورج بوش الأب والإبن-، وحرصها ضد الإرهاب، وممارساتها في أفغانستان والعراق، ومظاهر الهيمنة السياسية والاقتصادية والإعلامية والتربوية والثقافية، كما هو باد للعيان. وهو ما تركز عليه الفلسفة الأمريكية، كما تبرزها كتابات فوكوياما¹، والممارسات السياسية والاقتصادية والعسكرية للولايات المتحدة الأمريكية.

2. حوار الحضارات:

وهي نظرية يعتنقها الضعفاء إذ يخادعون أنفسهم، وهم يتوهمون أن المسألة بسيطة، يمكن حلها عن طريق الحوار والإقناع، يؤيدهم في ذلك بعض المفكرين الغربيين، وقد يكون ذلك عن حسن نية. وهكذا يحذر "برهان غليون" من انجرار المسلمين أمام فكرة صراع الحضارات، لأن ذلك قد يؤدي إلى حرب باردة، كما يرى، وهو يعتقد أن القضية تحتاج إلى حوار ليس إلا.

3. تدافع الحضارات:

أصبح استعمال مصطلحي كلٍّ من حوار أو صراع الحضارات، مسخرا لخدمة أهداف محدّدة منذ البداية حسب مستعملها. لذلك يمكن استعمال مفهوم التدافع الحضاري، لورود آيات كريمة في هذا الموضوع. قال الله تعالى: "...و لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز" (سورة الحج / 40). وقوله أيضا "...و لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين" (سورة البقرة: 251).

والمفهوم واسع يشمل كلّ المعاني المطروحة، في الساحة الفكرية والسياسية والفلسفية. فهو إما تدافع محدود "خفيف"، وبالتالي فهو يعني الحوار والتعايش. كما تتم صراعات تدافعية، بمعنى صدام الحضارات، وقد يتم ذلك من خلال عمليات قوية ومفاجئة، وهو ما يعرف بالصدمة. وقد يتمّ التدافع العنيف، وهو صراع الحضارات، حيث يصل الأمر إلى صراع مسلح بين الأمم والحضارات، وهو ما نشاهده اليوم في مختلف بقاع العالم. فأمريكا تعتمد سياسة العصا الغليظة، وأن صراعاتها الحضارية يقودها جنرالات ومنظرو البنتاغون، وهي أداة

¹ فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ترجمة فؤاد شاهين وجميل قاسم ورضا الشايبي، مركز الإنماء القومي، بيروت 1993.

مكملة للحرب العسكرية. فأمريكا تضرب، وتطالب بالحوار، تستعمر وتطلب بإلقاء سلاح المقاومة، ومن الأسلحة المتوفرة والفعالة في يد المغلوبين على أمرهم، سلاح العقيدة والمقاطعة والرفض.

إن المتفحص للوقوع الحضاري وتفاعلاته، يجد كل مظاهر التدافع والتفاعل الحضاريين، فهناك الحوار وهناك الصدام، وهناك الصراع، وهناك الحرب الحضارية، وكلها موجودة. إلا أن وجود أحد المظاهر لا يلغي وجود الآخر، وأمريكا والغرب يستعملانها كلها، لكنهما يميلان إلى استعمال القوة العسكرية، لتحقيق مآرب حضارية واقتصادية وسياسية. أما الحوار فيوظف لغرض ربح الوقت وخدمة أهداف إستراتيجية على المدى البعيد، أو تركه مجالا يتلهى ويتجادل فيه الفلاسفة والمفكرون المثاليون.

من هنا يتبين استمرارية التدافع الحضاري في مختلف صورته، وهو عبارة عن سيرورة دائمة وحيوية لا تعرف التوقف، وهو حالة طبيعية وأحد سنن الله في خلقه.

الحروب الاستعمارية وظهور الأقطاب:

أدت الثورة الصناعية إلى التطور الاجتماعي والاقتصادي بأوروبا وأمريكا، في وقت عرف فيه العالم الإسلامي الانقسام والتفتت والتخلف والانحطاط، مما أدى إلى تكالب الدول الغربية عليه. فبعدما قضى الغرب على الإمبراطورية العثمانية، وانفصال أقاليمها العربية عنها، بدأت القوى الغربية تسيطر على دول آسيا وإفريقيا حيث أن غالبيتها من الدول الإسلامية، وهكذا لم ينته القرن التاسع عشر حتى كانت غالبية الدول الإسلامية - إن لم نقل كلها - تحت نير الاستعمار.

إلا أن طبيعة الإسلام تأبى الاحتلال، لهذا ظهرت حركات المقاومة وتوسعت، ولم ينته النصف الأول من القرن العشرين حتى كانت جل الدول الإسلامية قد نالت استقلالها.

وقد شاركت دول تنتمي للأمة الإسلامية في الحربين العالميتين لكونها دول مستعمرة ساهمت في الدفاع عن استقلال الدول الغربية. وهكذا مات آلاف المسلمين في جيوش فرنسا، القادمين من مستعمراتها بالمغرب العربي والدول الإفريقية المسلمة، السينيغال خاصة. كذلك الحال بالنسبة لبريطانيا التي ضمت لجيوشها جنودا من باكستان والهند خاصة، حيث لا نعرف الإحصائيات الدقيقة للقتلى المسلمين آنذاك، ولم تنته الحرب العالمية الثانية حتى بدأت الحركات التحريرية والثورات العسكرية في الظهور في مختلف دول العالم الإسلامي، وقد كان التخطيط لها من طرف الوطنيين المخلصين من رجال الدين والعلماء، فكان ثمن الاستقلال غاليا من دماء الأبرياء.

انتهت الحرب العالمية الثانية تاركة وراءها كتلتين متمايزتين، وهما الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية ويشكلان الحلف الأطلسي، يقابلهما الاتحاد السوفياتي وحلفاؤه من الاشتراكيين وقد كانوا ينتمون إلى حلف وارسو. وهكذا انقسم العالم إلى كتلتين متنافرتين، هما المعسكر الرأسمالي الغربي، والمعسكر الشيوعي الشرقي.

أما الدول النامية فينتهي بعضها للكتلة الأولى والبعض الآخر تابع للكتلة الثانية. ونتيجة الاحتلال الغربي واستغلاله لخيرات الدول النامية المستعمرة رأى كثير من قادة الدول النامية في الاشتراكية طريقا للخلاص من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي تواجهها دولهم. لهذا اختارت كثير من الدول حديثة الاستقلال، الاشتراكية كمنهج سياسي واقتصادي لحل مشاكلها، إلا أن قادة هذه الدول، اكتشفت بعد مدة من التجريب أن الاشتراكية لم تحل مشاكلهم، مما

أدى إلى التخلي عنها وتعديل مسارها الاقتصادي.

من جهة أخرى، عملت بعض الدول النامية على الاستقلال عن الكتلتين الشرقية والغربية، مما أدى إلى ظهور منظمة عدم الانحياز التي أصبحت تضم غالبية دول العالم الثالث، والتي كان لها دور فعال في منتصف القرن العشرين. وقد ساعدت بوقوفها إلى جانب الحركات التحررية في المحافل الدولية، على تحرير كثير من الشعوب من نير الاستعمار، إلا أن دورها انحسر كثيرا بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، واختلال التوازن الدولي.

سقوط الاتحاد السوفياتي وعولمة الثقافة الأمريكية:

إن فشل الاتحاد السوفياتي في الرفع من فعالية الآلة الاقتصادية، وارتفاع نفقات التسلح، وغرقه في وحل المستنقع الأفغاني، وعجزه عن مواجهة أمريكا والدول الغربية، كلها عوامل أدت إلى تفككه، وانكشاف عيوب ونقائص النظام الاشتراكي في السياسة والاقتصاد، وهو ما أفسح المجال واسعا أمام أمريكا كقوة عظمى وحيدة في العالم. وقد أفقد هذا التطور العالم العربي والإسلامي غطاء سياسيا وعسكريا في مواجهة الهيمنة الرأسمالية المتوحشة، والعدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني.

وبالتالي ظهرت العولمة كمفهوم مستحدث يشمل كلا من السياسة والاقتصاد والتربية والثقافة، وهو غطاء لعولمة وفق الرؤى الأمريكية وتوجهاتها.

في ظل هذا النظام، وقعت أحداث 11 سبتمبر 2001، والتي كانت نتيجتها القيام بمجموعة من الحروب بحجة "محاكمة الإرهاب". وهكذا قامت الحرب على أفغانستان لإزاحة طالبان عن الحكم، وشنّت أمريكا وحلفائها الغربيين حربا على العراق، رغم معارضة مجلس الأمن. وبهذا يسجل التاريخ لبداية فترة جديدة من العنف واستعمال القوة ضد الشعوب المناوئة للولايات المتحدة الأمريكية، من أجل تغيير حكوماتها وأنظمتها، حيث كانت مقولة بوش المشهورة "من ليس معنا فهو ضدنا". وهنا بدأت حقبة جديدة من صراع الحضارات، طاوية صفحة الحوار والتعايش، مما رفع من مستوى التحدي الذي تواجهه الدول الإسلامية، والتي هي - في القاموس الأمريكي - مصدر الإرهاب وراعيته، وإن لم تصرح أمريكا بذلك علانية.

التدافع الحضاري والعولمة الاقتصادية:

عرف العالم تحولات هائلة في المجالات الاقتصادية، بدخول العولمة إلى حيز التطبيق، وقد بدأ ذلك مع أفول نجم الإتحاد السوفياتي وتداعي أسس النظام الاشتراكي في العالم، وهجرة نظام التخطيط المركزي للاقتصاد، وتهاوي القطاع العام التابع للدولة. وهكذا ظهرت الولايات المتحدة كقوة أعظم في العالم، فرضت نموذجها الاقتصادي الليبرالي، وأتت بما أصبح يعرف بالعولمة. فما مفهوم العولمة؟ وما انعكاساتها الاقتصادية والسياسية؟ وكيف يجب التعامل معها؟

وقد أدى ظهور العولمة إلى عدّة انعكاسات على الواقع الاقتصادي للدول الإسلامية، تتمثل أهمها في تخفيف سيطرة الدول على حدودها، وتعزيز دور القطاع الخاص، فأرغمت الدول على خصخصة القطاع العام، الذي كان سائدا بجلّ الدول النامية، والتي كانت تتبنى المنهج الاقتصادي المخطط. كما أدت العولمة إلى تناقص الحواجز الجمركية، وسهولة انتقال رؤوس الأموال بين الدول، وتزايد نفوذ الشركات المتعددة الجنسيات وخاصة في الدول النامية. علما أن وراء الشركات الضخمة قوات الدول الغربية العسكرية والاقتصادية التي تحميها وتدافع عن مصالحها.

وهكذا وجدت الدول الصناعية، التي لها فائض إنتاجي، أسواقا كبيرة تستقبل منتجاتها في ظل اقتصاديات ضعيفة بالدول النامية، والتي هي غير قادرة على المنافسة. وهكذا دخل القطاع الاقتصادي والخدمي بالدول النامية في منافسة غير متكافئة مع سلع الدول المتقدمة، التي فرضت نفسها في الأسواق لجودتها ورخصها. وقد أدى ذلك إلى غلق كثير من المؤسسات الإنتاجية بالدول النامية، وتسريح عدد كبير من العمال، في دول بها نسب البطالة مرتفعة أصلا.

رغم سلبات العولمة والتفتح الاقتصادي واقتصاد السوق، إلا أن لها بعض الإيجابيات، تتمثل أهمها في توفر السلع، وقد يستطيع البعض اقتناؤها. كما أن العولمة دفعت الدول النامية إلى البحث في موضوع الفعالية والمنافسة، وهو جانب كان مهما، وقد فرضت الظروف نفسها على هذه المؤسسات لتحسين وضعيتها وأدائها ومستوى نجاعتها، وأصبحت تبذل جهدا أكبر للوصول إلى مستوى المعايير الدولية. وهو ما يفرز المؤسسات الفاشلة، ويدفعها إلى التطور أو الموت، وقد يؤدي ذلك إلى آثار إيجابية على بعض مؤسسات الدول النامية، على المستويين القصير والمتوسط.

كما أن متطلبات العولمة وانفتاح السوق، يقضي على التهاون والرداءة وسيطرة المافيا المحلية على السوق، من خلال استيرادها لمنتجات رديئة وترويجها بأثمان مرتفعة باسم حماية الاقتصاد الوطني.

من هنا يتبين لنا أن العولمة وضعت من طرف الأقوياء لخدمة مصالحهم والسيطرة على الضعفاء، وهي حلقة من حلقات التدافع الحضاري في المجالات الاقتصادية والسياسية، من أجل الحفاظ على الأمر الواقع، والسهر على استمراره ودوامه. لذا فإن الدول الإسلامية لا تستطيع التأثير على مجريات الأحداث، وإيقاف العولمة، لهذا عليها التعامل مع الواقع واستغلال ما يمكن استغلاله فيها، والتعامل الإيجابي معها.

3. مؤسسات وآليات التدافع الحضاري

لم يعد موضوع التدافع الحضاري مقتصرًا على مجالات الحروب والسياسة والاقتصاد، وإنما يتعدى ذلك إلى المجالات الاجتماعية والتربوية والثقافية والإعلامية. وقد دخلت كل من الأسرة والمدرسة والثقافة والإعلام حلبة الصراع، مما جعل الإستراتيجيين والساسة الأمريكيين يطلقون على عملية الحصول على رضا الشعوب وتعاونها، بالصراع من أجل "كسب القلوب والعقول"¹.

وهكذا تُستعمل عدة آليات في التدافع الحضاري، من ذلك الأسرة بدورها التربوي المحافظ، إلى جانب المنظومة التربوية من مدرسة وجامعة ومؤسسات مرتبطة بهما. كما يستعمل النسق الثقافي من آداب وسينما ومسرح وغناء، وغيرها من العوامل الثقافية في التأثير على قيم الأفراد، وبالتالي مساهمتها في التدافع الحضاري. وهي مؤسسات اجتماعية تلقي الضوء على دورها في مجال التدافع الحضاري.

1. دور الأسرة المسلمة في تدافع الحضارات:

وصل العالم مرحلة من التطور والصراع بين الحضارات والتحاوور فيما بينها، إلى مستوى معقد ومتداخل، وأصبحت وسائل الإعلام والاتصال مكتملة للوسائل العسكرية في ترويض الشعوب والهيمنة عليها. وهكذا استغلت أساليب إعلامية وسياسية، من خلال أبواق القنوات الفضائية، واستغلت المنظمات الدولية، وغير الحكومية، أو التابعة للأمم المتحدة،

¹. غيات بوفلحة (2006) الحرب النفسية وإحباطات الإنسان العربي (وهران: دار الغرب).

للتدخل في شؤون الأسرة ودور المرأة ومكانتها، والقوانين التي تنظمها في مختلف الدول، بما في ذلك الدول الإسلامية. وقد أدى التطور التكنولوجي المعاصر إلى تجاوز السلطات الرسمية القائمة في الدول، وأصبح الاهتمام والتعامل مباشرة مع الأسر في بيوتها، لذا أصبحت القنوات الإعلامية للتلفزة تحدّث الأفراد دون رقابة ولا قيود ولا حدود. للأسرة دور في الحفاظ على القيم الثقافية والحضارية للمجتمع، ومواجهة الضغوط التي تستهدف دورها وتماسكها، من أجل تسهيل القضاء على دورها، الذي مارسته عبر قرون.

من الأمور المستهدفة في الصراعات الحضارية التي يعرفها العالم المعاصر، نجد قيم الأسرة المسلمة وثقافتها وتقاليدها، وروابطها القوية، التي أصبحت أهدافاً يُراد القضاء عليها وتفكيكها أو تكييفها لقيم المجتمعات الغربية، التي أريد لها أن تكون عصرية عالمية.

تعيش المجتمعات الإسلامية مشاكل في أسرها التي تتميز بهيمنة الأب في الأسرة. وما ساعد على ذلك أن الله تعالى أمرنا بطاعة الوالدين، بحيث لا نقول لهما أف ولا ننههما، والتأكيد على طاعة الأم، لقوله صلى الله عليه وسلم: "الجنة تحت أقدام الأمهات". كما وجب على الزوجة طاعة زوجها، وفي ذلك أحد أوجه طاعة الله سبحانه وتعالى. إلا أن حركات التحرر مع أواخر القرن العشرين، وقوة المادية الغربية وقيمها، والدعوة للديمقراطية والعمولة، كلّها عوامل لم تكن في صالح استقرار الأسرة المسلمة. وما ساعد على ذلك انتشار القنوات الفضائية التي ألغت الحدود السياسية وقربت المسافات، بل أنها أدت إلى تفاعل بين الحضارات.

وهكذا توسّع مجال الصراع الحضاري، من ساحات الحروب والوعى، ومن الجامعات ومراكز البحوث، ومن العلماء والفلاسفة، ليشمل مكونات وقيم الأسرة. وقد سعى الغرب إلى تحطيم قيم المحافظة والممانعة التي تتميز بها الأسرة المسلمة.

وقد ظهرت خلال القرن العشرين، مجموعة من المنظمات الدولية وغير الحكومية، التي سعت إلى تعزيز القيم والقوانين الغربية، ودعم مجموعة من المفاهيم منها حرية المرأة. إن كانت حرية المرأة مطلباً، فالإسلام لم يعتبر المرأة أمة، وإنما هو حق أريد به باطل، أريد به الدعوة إلى التبرج والانحلال والثورة على استقرار وسلامة الأسرة المسلمة، وبهذا دخلت الأسرة حلبة الصراع، بل أصبحت كلّ اهتمامات جمعيات حرية المرأة وحقوق الإنسان موجهة إليها.

وهكذا ضعف الوازع الديني والأخلاقي وضعفت قدسية الأسرة، وتفشت مظاهر الإباحية الجنسية، وهو ما أدى إلى انتشار مجموعة من الأمراض المرتبطة بالاختلاط غير الأسري، من ذلك نقص المناعة البشرية (الإيدز)، وغيرها من الأمراض النفسية والآفات الاجتماعية.

كما أن انحلال الأسرة المسلمة ساهم في انتشار كثير من الآفات الاجتماعية، كالإدمان على المخدرات وتناول الخمر، وما ترتب عن ذلك من مشاكل، كتأخر سن الزواج وارتفاع نسب الطلاق في المجتمعات العربية والإسلامية. وإن كان الغرب يقدم اقتراحات لتعديل هيكل الأسرة، وتدعيم حرية المرأة، وغيرها من الاقتراحات، إلا أنه ظلّ يتغاضى عن المشاكل الناتجة عن ذلك ويعجز عن تقديم أية حلول للمشاكل الاجتماعية، الناتجة عما يطرحه التوجه الغربي من قضايا وإشكاليات.

كما أن انتشار التعليم بما ينشره من قيم الحرية، والجرأة على التعبير والإفصاح عن الآراء، وتعليم الفتاة، وانتشار

جميعات تحرّر المرأة وتمزدها عن القيم الإسلامية السائدة، كلّها عوامل أثرت على قيم الأسرة الإسلامية واستقرارها. وإن كان على الأسرة المسلمة مُسايرة التطورات، فعليها تعزيز الوعي السليم بالثقافة الإسلامية، وأن ترفع التحدي في وجه الحركات والهجمات العالمية، التي تدعو إلى الانحلال والتخلص من قيم الدين والأسرة والمجتمع.

ب. دور المدرسة في تدعيم الحصانة الثقافية والحضارية للأمة:

توسّع الصراع الحضاري وشمل كلّ المجالات وجوانب الحياة المعقدة، وليست المدرسة استثناء لذلك. لقد كانت المؤسسات التربوية التقليدية في الوطن العربي، داعمة للقيم العربية والإسلامية، وبالتالي فهي تساهم في تحصيل الأجيال الصاعدة، من الهجمات النفسية والحضارية الأجنبية، سواء كانت من أفكار شيوعية وإلحاد أو مادية إباحية أو تمسيح ديني. حيث يعود الفضل في بقاء الإسلام وحفاظه على قوته وصفائه، وجود مؤسسات تربوية عريقة، متمثلة في الكتاتيب والمدارس والمساجد، وهي تقوم بتدريس الإسلام وتصهر على تحفيظ القرآن الكريم.

فما أهمية المؤسسات التربوية في الحفاظ على الهوية الثقافية والحضارية؟ وما دورها في مواجهة الضغوط الممارسة عليها في ضوء الهيمنة الغربية وضغوط العولمة؟ وما طريقة مواجهة تلك الضغوط وتدعيم الحصانة النفسية والحضارية ضد الهجمات الخطيرة التي تعرفها الأمة العربية والإسلامية؟.

لم تعد المدرسة كما كانت، ذلك المكان الهادئ الذي تتم فيه التنشئة الاجتماعية، ويعلم فيه الشيوخ الأطفال، قيم وثقافة المجتمع، بدءاً بتعليم القرآن الكريم وسنة النبي الكريم، وتاريخ بطولات الأجداد واستماتتهم للدفاع عن أوطانهم، وقصص نشر الإسلام في جبال وجزر آسيا وأدغال إفريقيا، وغيرها من المعلومات والقيم المرتبطة بالواقع المحلي ومبادئ الحضارة الإسلامية، ومنتوجاتها الحضارية والثقافية.

ذلك أن المدرسة دخلت حلبة الصراع، وأصبحت موضوع اهتمام القوى العظمى في العالم، خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 بالولايات المتحدة الأمريكية. حيث أصبحت أمريكا تفرض على الدول العربية والإسلامية محتوى وطبيعة البرامج المدرّسة والملقنة للتلاميذ.

وهكذا انتقل الصّراع التربوي من المدرسة التقليدية التي عملت عبر قرون على بث وترسيخ القيم الإسلامية، إلى مخابر القوى الغربية المهيمنة، التي تمارس ضغوطاً على الدول الإسلامية، من أجل تغيير أهدافها وتعديل مناهجها. وأصبح الغرب يسعى جاهداً إلى تغريب المدرسة وطرائق تنظيمها، والقيم المقدمة للتلاميذ والطلبة في العالم الإسلامي.

لقد بدأ مفهوم العولمة غامضاً، وكان الاعتقاد السائد عند ظهوره أن المراد به التفتح الاقتصادي بالدرجة الأولى، حيث خصخصة مختلف المؤسسات الإنتاجية والخدمية، وفتح الحدود أمام السلع والاستثمارات، وإلغاء، أو تخفيض التعريفات الجمركية... الخ. إلا أن المفهوم الحقيقي للعولمة بدأ يتضح في السنوات الأخيرة أكثر فأكثر، لتشمل دائرته قطاعات التربية، بدءاً بفتح المدرسة على القطاع الخاص، بما في ذلك القطاع الأجنبي، وتدخّل الهيئات الدولية في طرق التسيير، - وقد منحت الدول التي تسمي نفسها بـ "العظمى" حق التدخل - في تحديد النظم والمناهج التربوية وما يمكن تعلّمه، وما يمنع تعليمه لأبناء الدول المستضعفة. ذلك أن البرامج التقليدية - كما يرى الخبراء الأمريكيون والدوليون - تشجع على العنف والكراهية، وهو ما تعمل أمريكا على محاربتها بذريعة "مكافحة الإرهاب". وهي تستعمل كل الطرق لتحقيق ذلك من وعد ووعد، من ضغوط سياسية واقتصادية بل وحتى عسكرية، لهذا لا مناص للدول المستضعفة من

الانصياع لرغباتها وضغوطها.

مع ذلك فإن المدرسة، في المجتمعات العربية والإسلامية، هي نتيجة نسيج ثقافي، يحافظ على قيمه الثقافية ويدافع عن مظاهر حضارته، ذلك أن التربية عملية شفوية إلى جانب كونها عملية مكتوبة. والمدرس المتشبع بقيمه وثقافته، لا شيء يمنعه داخل قسمه ومن خلال مختلف النشاطات التربوية، من التطرق إلى جوانب مسكوت عنها في المناهج التربوية، بسبب الضغوط الخارجية.

وهكذا في ظل تفتح المجال التربوي على العالم، وسقوط الحواجز وموانع المراقبة، نتيجة التطور التكنولوجي، وانتشار القنوات الفضائية وشبكات الإنترنت، وتحكم القوى الأجنبية في مناهج الدراسة، وعجز الدول المحلية عن التحكم والسيطرة على المناهج التربوية للمدرسة الرسمية. لهذا بقيت المدرسة التقليدية، والمتمثلة في الكنائس والزوايا، ودروس المساجد، إضافة إلى القيم الاجتماعية المحافظة التي تتميز بها المجتمعات، أهم حصانة للمجتمعات العربية والإسلامية من الذوبان في الثقافات الدخيلة.

لقد نجحت المؤسسات التربوية والاجتماعية في الوقوف ضد الزحف الشيوعي والإلحادي، لهذا بإمكانها الوقوف ضد هجمات العولمة التغريبية. وإن اضطرت أحيانا إلى الانحناء في وجه الهجمات الشرسة، لتخفيف الضغوط، في انتظار مرور العاصفة، إلا أنها تعود إلى وضعيتها السابقة، لصلابة قيمها وثقافتها ومركزاتها الحضارية العميقة الجذور.

وقد مرت المؤسسات التربوية التقليدية، بأحلك الأوقات أثناء الاستعمار، حيث كانت هدفا للتدمير والبطش، من أجل مسخ هويتها، وإثائها عن القيام بدورها. ومع ذلك صمدت للظروف الصعبة، وحافظت على قيم المجتمع، لتستأنف مسارها الطبيعي بعد الاستقلال.

من هنا يتبين لنا وصول التدافع الحضاري إلى المدرسة والثانوية والجامعة، حيث أصبحت قيم العولمة تزاحم القيم الإسلامية في عقر دارها، وعلى المدرسة بالعالم الإسلامي، التثبت بالقيم الإسلامية، ومواجهة قيم العولمة، لكونها تهدد كيان واستقلالية ووجود الحضارة الإسلامية.

ج. التدافع الثقافي:

يعرف دور البعد الثقافي تزايدا مستمرا في عمليات التدافع الحضاري، وخاصة في مجالات السمي البصري. ذلك أن الموسيقى والغناء والسينما والمسرح، أصبحت صناعة وعلوما يستغلها الخبراء العسكريون والإستراتيجيون للتأثير على عقول الشباب، وتوجيه قيمهم وأنماط تفكيرهم وميولهم. وهكذا أصبحت السينما صناعة ضخمة، تساهم في تشكيل الرأي العام وإبراز المظاهر الحضارية والسياسية للدول المهيمنة والمنتجة، وتساهم في تنفيذ الإستراتيجيات المخطط لها. وهكذا تشمل الأساليب الثقافية كلا من السينما والمسرح والآداب والغناء والفنون والفلكلور والهندسة المعمارية واللغات، وكلها أدوات تسخر في حلبة التدافع الثقافي بين مختلف الحضارات.

إن استعمال الثقافة في مجالات التدافع الحضاري، أدى إلى ظهور ما يعرف بالفن الملتزم، من أغاني شعبية وقومية وأهازيج ثقافية، وسينما وطنية ملتزمة تدافع عن قضايا الوطن والأمة.

وهكذا تعددت الأفلام التي تنطرق إلى القضايا القومية، وأصبح الفن، من سينما ومسرح وغناء...، أدوات للصراع ووسائل مسخرة لخدمة القضايا القومية، وليست مجرد وسائل للترفيه واللهو والترويح عن النفس.

كما نجد الصراع في مجال الألبسة بين التقليدية المحلية من جهة، والغريبة الدخيلة من جهة أخرى. حيث دخل حجاب المرأة المسلمة معترك التدافع والصراع الثقافي، وظهرت العباءة والقميص الشرقي والخليجي مقابل اللباس الغربي، وظهرت أهمية الكوفية والعقال العربيين مقابل القبعة الغربية، وظهرت عقدة العنق كمظهر غربي ترفض بعض الشعوب لباسه. كما نجد اللباس النسوي في معترك الصراع بين لباس هندي وآخر عربي وإسلامي بخصائصه ومميزاته، ولباس غربي يحاول فرض نفسه بمختلف السبل.

إلا أن أبرز مظهر للصراع الحضاري المرتبط باللباس، قضية ارتداء الطالبات للحجاب الإسلامي، وما أثارته من اضطرابات سياسية، في بعض الدول، منها الإسلامية، كتركيا وتونس، ومنها الغربية مثل فرنسا. من هنا يتبين لنا أن التدافع الحضاري عملية مشعبة ومعقدة ومتداخلة، تكون فيه الغلبة للأقوى والأصلح.

د. التدافع الإعلامي وتكنولوجيا الاتصال:

لقد توسعت مجالات الإعلام المكتوب والمسموع والمرئي، وأصبح الإعلام يلعب دورا خطيرا في تشكيل الرأي العام والتأثير على معنويات الأفراد والشعوب، وهي تلعب دورا محوريا في الحروب النفسية، وحروب الأعصاب. لهذا منحت الدول الغنية الإعلام عناية كبيرة وسخرت له الكفاءات البشرية والإمكانات المادية والتكنولوجية، باعتباره سلاحا فتاكا يستعمل بطريقة دائمة في كل الظروف والأوقات والمواقع¹. وقد انتشرت وتعددت القنوات الفضائية مع نهاية القرن العشرين، وأصبحت متخصصة ومتنوعة.

يعتبر الإعلام بمختلف أشكاله السمعي والبصري والمقروء، أحد أهم آليات التدافع الحضاري. وما زاد في أهميته ظهور التقنيات الرقمية المتطورة في البث التلفزيوني، التي تستعمل الأقمار الاصطناعية في نشر أخبارها وبرامجها.

وهكذا نجد تنافسا كبيرا بين القنوات التلفزيونية العالمية، لكسب ثقة المشاهدين في العالم. وهنا يمكن الإشارة إلى النجاح الذي سجلته بعض القنوات العربية، ومن أهمها قناة "الجزيرة" القطرية، مما شجعها على فتح عدّة قنوات متخصصة تابعة لها، ومن أهمها القناة الناطقة بالإنجليزية مع نهاية 2006، وهو ما زاد المنافسة الإعلامية حدّة.

وفي نفس الإطار قامت فرنسا بفتح قناة فضائية دولية جديدة "فرنسا 24" بتاريخ 07 ديسمبر 2006، بحيث تبث بالفرنسية والإنجليزية والعربية والإسبانية، لمواجهة التدافع الحضاري والإعلامي، وتبعتها بريطانيا التي تدير قناة (BBC) تبث برامج لها باللغة العربية.

كما أن ظهور شبكة الإنترنت كان ثورة حقيقية في مجال الإعلام والاتصال، وهو ما زاد من قوة الصراع والتدافع الثقافي والحضاري في العالم.

وما زاد الأمور حدّة بساطة الاستعمال وسهولة بث المعلومات من خلال شبكة عالمية، وهو ما أدى إلى انتشار استعمال الإنترنت على مدى واسع، من طرف الحركات المناوئة للهيمنة الغربية في العالم.

من هنا نستنتج أهمية اعتماد مفهوم التدافع الحضاري، لتوسع مجال تطبيقه، وبسبب دينامية التطور والتغيير الذي تعرفه مختلف الحضارات.

¹. غيات بوفلحة، المرجع السابق.

4. الحروب غير المعلنة على الإسلام

إلى جانب الحروب الظاهرة، هناك حروب طاحنة غير معلنة تجري وقائعها في الخفاء، وتتم بطرق سرية وغير معلنة، تتناحر من خلالها مختلف المؤسسات والأجهزة دون لفت انتباه وسائل الإعلام.

من بين ساحات التدافع الحضاري، نجد نشاطات الأجهزة الأمنية السرية، وترويج المخدرات، وإشاعة مختلف الأمراض المتنقلة، والصراعات الدينية والعقدية، وتوظيف العملاء، وتشجيع الحركات الانفصالية والنعرات القبلية، وبث القلاقل والإشاعات.

وهكذا يمارس الغرب حرباً نفسية على الشعوب العربية والإسلامية، وعمليات نشر اليأس والإحباط بين أفرادها¹. وسوف نقتصر في هذا البحث على ممارسات عدائية أخرى، وتتمثل في التهجم على الإسلام، وحملة التنصير، ومحاولات التحويل البشري وتغيير طبيعة هوية المجتمعات.

أ. التهجم على الإسلام:

بعد أن كانت حملات الإهانة والتشويه الثقافي موجهة إلى المسلمين، فنعتهم بالتخلف والاستبداد والتمسك بتجارة الأفراد، والإرهاب... عرفت العقود الأخيرة حملات تهجم أخرى على الإسلام، وعلى النبي الكريم. وقد اعتاد اليهود منذ القديم اختلاق الأكاذيب، حيث ظهرت في عهد النبوة أحاديث موضوعة، تعرّف عليها الفقهاء وصنفوها في خانة "الإسرائيليات".

واليوم، وبعد مرور خمسة عشر قرناً على ظهور الإسلام، لم ييأس أعداؤه، واستمروا في وضع الأكاذيب لغرض المسّ به، وتحريفه، وحذف آيات من القرآن الكريم وتوزيعه، لنشر الشك والبلبل بين المسلمين.

ومن ممارسات التشويه والتحريف والإهانة، ما تعلنه وسائل الإعلام من حين إلى آخر، من كتابة أسماء الجلالة على الأحذية أو على الألبسة الداخلية.

إلا أن أبرز الممارسات، ما كتبت عنه الصحافة في سجن غوانتانامو، من تمزيق المصحف، ورميها في المراحيض، وغيرها من الممارسات التي تقشع لها أبدان المسلمين.

وأحد الممارسات الغربية نشر الرسوم الكاريكاتورية المهينة للرسول محمد عليه السلام في الصحف، كما حدث في الدانمرك، وتبعتها هولندا وألمانيا. كما أخرج بعض المتطرفين أفلاماً مسيئة للإسلام، وغيرها من الممارسات اللا أخلاقية واللا إنسانية التي نفذتها جهات غربية وصهيونية مشبوهة. وهي تتلقى الدعم والتأييد من بعض الحكومات والجمعيات الغربية، بما في ذلك أحزاب سياسية، بدعوى الدفاع عن الديمقراطية وحرية التعبير.

ب. توسع الحملات التنصيرية:

يعرف العالم الإسلامي حملة تبشيرية شرسة، ترعاها عدّة جهات، ومنها الفاتيكان، والأجهزة الدبلوماسية للدول الغربية بالدول الإسلامية، والجمعيات الثقافية والخيرية المنتشرة في ربوع العالم الإسلامي.

وقد تركزت عمليات التنصير والضغط على بعض الدول التي اكتشفوا بها نقاط ضعف، أو لكونها محورية في عملية

¹. غيات بوفلحة (2006) الحرب النفسية وإحباطات الإنسان العربي (وهران: دار الغرب).

التأثير على الدول الأخرى. وهكذا توسعت عمليات التنصير بالجزائر والأردن، وغيرهما من الدول العربية والإسلامية. وهناك تركيز جهود كبيرة ورصد أموال طائلة من أجل نشر المسيحية في القارة الإفريقية خاصة، مستغلين فقر وحاجات الشعوب الإفريقية من أجل شراء عقائدهم.

أما من ناحية السلطات الرسمية في الدول الإسلامية، فهناك إهمال وعدم اهتمام بالموضوع، ما دام ذلك لا يؤثر على الاستقرار السياسي، وبقاء الحكام في مناصبهم، وقد يكون السكوت استجابة وإرضاء للقوى الغربية. ولحسن الحظ، فمن قوة الإسلام أنه ليس في حاجة إلى جهات رسمية تحميه وتعزز انتشاره. بل هناك أفراد ودعاة وجمعيات ونشاطات فردية وجماعية، تعمل على إيقاف المدّ المسيحي، الذي لم ينجح حتى أثناء الاحتلال. بل أن الإسلام يحافظ على حيويته وانتشاره بمختلف بقاع العالم، بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا. ورغم أن الإسلام لا خوف عليه، مصداقا لقوله تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" (سورة الحجر/15). ومع ذلك فيجب التفطن لخطورة الوضع، ولما يحاك ضد العقيدة الإسلامية، من طرف أجهزة مدعومة من طرف القوى العظمى، والكيك للمسلمين في عقيدتهم ودينهم. وقد تفطن المسلمون إلى أهمية عقيدتهم، فكان دعاؤهم: "اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا".

ج. التحويل البشري وتغيير الهوية البشرية بمنطقة الخليج:

لم يعد التدافع الحضاري عسكريا فحسب، وإنما أصبح أكثر خطورة وأعمق أثرا، بحيث تتم عمليات دقيقة للتخطيط، عبر مراحل بعيدة ومتوسطة وقريبة المدى، ويسهر على التخطيط لها وتنفيذها جيش من الخبراء والباحثين في مجالات الأمن والحضارة، حيث يمتزج السياسي بالعسكري بالديني بالاقتصادي بالحضاري، من أجل تحقيق الأهداف الإستراتيجية للقوى المهيمنة في العالم.

قد يحصر السكان الأصليون لمنطقة الخليج العربي وحكوماته الرسمية مشاكل العمالة الوافدة في كونها تأخذ مناصب عمل المواطنين، وقد يتحدثون عن بعض المشاكل الاجتماعية والثقافية، إلا أن ارتفاع نسب الوافدين مقارنة بالمواطنين، والتغيرات السياسية السريعة التي يعرفها العالم، والبهيمة الأمريكية والإسرائيلية والغربية عموما، وحدّة المنافسة على الطاقة، ودخول قوى جديدة إلى حلبة الصراع الدولي، ومنها الهند والصين، كلها عوامل أعطت العمالة الآسيوية في دول الخليج بعدا إستراتيجيا خطيرا.

إن المتفحص لواقع الدول الإسلامية والعربية يجد أن الخطر حاذق بها من كلّ مكان، ومن كل الجوانب والجهات. ذلك أننا نعيش اليوم حركة احتلال من نوع جديد، يتم من خلالها الغزو الثقافي والاحتلال التربوي وإغراق العدد القليل من المواطنين، كما هو الحال في مجلس التعاون الخليجي، بعدد كبير من الوافدين، من شبه الجزيرة الهندية وأوروبا وأمريكا، وقد وصلت نسبة الوافدين إلى المواطنين حوالي 90 في المائة.

وهكذا بنيت مدن كبيرة على الطريقة العصرية بحيث يسكنها أجانب من مختلف أصقاع العالم، بثقافتهم وقيمهم وعاداتهم وتقاليدهم، وخاصة الغربيين منهم، والذين بإمكانهم العيش في دول الخليج، حيث تقدّم لهم كلّ التسهيلات، بدءا من التأشيرة والسماح لهم بالإقامة الدائمة وتملك العقارات، نهاية بالاحترام والتقدير، كما تمنح لهم مختلف الامتيازات والأولوية في التشغيل، ومرتببات أعلى مما يمنح للعرب، حتى ولو تخرجوا من نفس الجامعات ولهم نفس الخبرات.

لقد تزايد عدد الأوروبيين والأمريكيين، وضمنهم عدد كبير من اليهود، ومن كل الطبقات، منهم التقنيون والخبراء، ومنهم التجار والصّناع، ومنهم أعضاء المافيا العالمية، الذين يعملون على تبييض أموالهم، كما نجد عناصر الاستخبارات لمختلف الدول، بما في ذلك الموساد الإسرائيلي.

وقد وصل الأمر بالدكتور مجيد العلوي، وزير العمل البحريني السابق، في حديث له مع صحيفة «الشرق الأوسط»، إلى اتهام رجال الأعمال في دول مجلس التعاون الخليجي بـ«الجشع» والبحث عن مصالحهم الخاصة من دون النظر لـ«الخطر» الذي ينتظر المنطقة من جراء «قنبلة» العمالة الوافدة.

كما أكد أن المنطقة متجهة نحو "مصير مخيف إذا لم تلتفت الحكومات الخليجية لهذا المدّ 'التسونامي' للعمالة الوافدة، ويجب أن توضع حلول جذرية من دون التأثير بما يثيره التجار من مصاعب وعوائق أمام أي حلول لما يمكن أن يلحق المنطقة من توافد كبير للعمالة الوافدة وهو بحق جريمة نكراء بحق دول الخليج".

وهكذا، وفي ظل الضغط السكاني الأجنبي، أصبح من الصعب استعمال اللغة العربية للتفاهم في دول الخليج العربي، والاتصال والحوار بين أفراد المجتمع. بل طغت اللغة الإنجليزية، إلى جانب اللغات الهندية والأوردية والبنغالية والفارسية، ولا يتحدّث العربية إلا القليل. بل أن السكان الأصليين من العرب اضطروا إلى التكيف مع الأوضاع الجديدة، وأصبحوا يتعاملون باللغات الأجنبية لقضاء حاجاتهم اليومية.

وبالتالي بدأت الهوية العربية الإسلامية في الذوبان بدول الخليج العربي. وقد بدأت الكنائس تفتح أبوابها، إلى جانب أماكن العبادة بالنسبة لأتباع بعض المعتقدات الآسيوية، غير الديانات السماوية الكبرى، من إسلام ومسيحية ويهودية. وهكذا بدأت مظاهر الهوية العربية الإسلامية في الاختفاء، وقد بدأت باللغة العربية لتزحف إلى الفنّ والآداب وغيرها من المظاهر الثقافية والحضارية.

كما وصل الأمر إلى مرحلة خطيرة، حيث بدأ الكلام عن مطالبة الوافدين بحقوق لهم في الدول التي ساهموا في بنائها، كحقوقهم في الإقامة الدائمة وما يترتب عن ذلك من حقوق المواطنة والترشح والانتخاب في مختلف هيكل الدولة، بما في ذلك البرلمان ومجالس الشورى. بحيث يكون تمثيلهم في مستوى حجمهم، علما أنهم الأغلبية في الدول التي يقيمون بها. ولن يكون غريبا، إذا استمرّ الأمر على حاله لسنوات أخرى، أن نجد برلمانيين ووزراء، بل وأمراء من الشيخ والهندوس والأمريكيين أو الأوروبيين، على رأس بعض المشايخ أو الإمارات بل حتى المملكات الخليجية. وبذلك تضيع الهوية ويضيع الوطن وتضيع الأمة.

أما العمالة الوافدة من الدول العربية في مجملها فلا تتجاوز 25 في المائة، من مجموع الوافدين، وتوضع في وجهها صعوبات وعوائق، وقد يطرد بعض أعضائها عند حدوث مشاكل مع حكوماتهم الأصلية، كما حدث من قبل مع الفلسطينيين والمصريين واليمنيين، رغم الإقامة الطويلة لبعضهم في دول خليج.

ليست المرحلة التي وصلت إليها دول مجلس التعاون الخليجي عفوية، وإنما تمّ دفعهم إليها بطريقة أو بأخرى، لإيصالهم إلى هذه الوضعية. وفي حالة عدم استفاقة الدول الخليجية من غفلتها، فسوف تفيق يوما على إعلان الوافدين غير العرب عن إسقاط الحكومات القائمة، وتشكيل حكومات أخرى من الأغلبية المقيمة بتلك الدول، والمسيطرة على مقاليد الأمور الاقتصادية بها. عندئذ لا يكون في وسع الأمم المتحدة وجمعيات حقوق الإنسان إلا مباركة هذه الخطوات،

والتي ستعتبرها تطبيقاً للديمقراطية وحقوق الإنسان، عندئذ تنكشف خيوط المؤامرة، ويظهر الأمر الواقع، حيث لا ينفع الندم.

من هنا يتبين للمسلمين أنهم أمام عدو شرس، لا تحكمه القيم الأخلاقية والإنسانية، وهو مستعد للقيام بأي شيء من أجل السيطرة والهيمنة على العالم، بما في ذلك القتل والتشريد والتعذيب وتدنيس المقدسات، وتشجيع رواج المخدرات، وشراء ذمم الأفراد، والتصفية العرقية والتحويل البشري لتغيير الطبيعة البشرية والثقافية للشعوب والدول. وهو ما مارسه منذ عقود في فلسطين، وهو ما يخطط للقيام به في أي منطقة من العالم لتحقيق مآربه في السيطرة على العالم.

5. حقيقة التعاون الدولي شمال جنوب

يتحدث الكثير من الساسة والإقتصاديين عن التعاون شمال جنوب، أو بمعنى آخر بين الدول الغنية والدول الفقيرة، أو بكلمة أدق بين الدول النامية وهي الكتلة التي تنتمي إليها الدول الإسلامية، والدول الصناعية وتشمل دول العالم الغربي.

هناك خلفية للتعاون بين الكتلتين، إذ أن الدول الغربية وهي في غالبيتها دول صناعية مهيمنة، لم تتخل بعد عن نظرتها الاستعمارية، التي تنظر إلى الإنسان المنتمي للدول النامية، وخاصة العربية الإسلامية، وإلى الحضارات الأخرى، نظرة احتقار، وهي تعتبرهم أقل كفاءة وشأناً وأهمية. وقد ذكر رئيس الوزراء الإيطالي - برلسكوني - أن الحضارة المسيحية أفضل من الحضارة الإسلامية، وبالتالي فهم يؤمنون بأن الإنسان العربي والمسلم هو أقل درجة وذكاء من الإنسان الغربي. الفكرة نفسها كانت - ولا زالت سائدة - عند الألمان الذين ظلوا يؤمنون بها، ويرون أن الجنس الآري هو أسمى الأجناس وأفضلها، ويكونون قد وسَّعوا النظرية الآن لتشمل الجنس الغربي كله. وقد غيَّروا نظرهم القديمة نحو اليهود، لشعورهم بالإثم جراء ما اقترفوه في حقهم خلال الحرب العالمية، وأصبحوا يفضلونهم عن العرب المسلمين. وهكذا فإن التعاون بين المسلمين والغرب، بقي أسيراً لمثل هذه النظرة. وبقي التعاون بين الكتلتين محصوراً في مجالين أساسيين بالدرجة الأولى، وهما المجال التجاري والمجال الأمني.

1. المجال التجاري: وهنا تتقرب الدول الغربية من الدول الإسلامية وتمارس عليها ضغوطاً كبيرة من أجل فتح أسواقها للمنتجات الغربية. كما أنها تشجعها على الانضمام إلى اتفاقات الأسواق المفتوحة أو الشراكة، أو غيرها من المسميات، والتي تستهدف بالدرجة الأولى فتح أسواق الدول الإسلامية في وجه السلع الغربية. ذلك أن السلع المنتجة بالدول الإسلامية غير كافية من حيث الكمية، ودون المستوى المطلوب من حيث النوعية، وبالتالي ليس باستطاعتها منافسة منتوجات الدول الصناعية. كما أن الدول الغربية تريد الاستثمار خاصة في استخراج البترول والغاز، أو تقديم بعض الخدمات، وعادة ما يتم بشروط مجحفة، وتعد معها اتفاقيات في ظل التهديدات والهيمنة الغربية.

2. المجال الأمني: تحرص الدول الغربية على التعاون الأمني مع الدول الإسلامية، وذلك في إطار ما سمي "خطة الحرب على الإرهاب". أما تصوّر الغربيين فهو أن الإرهاب مصدره الدول الإسلامية. حيث يرى الخبراء الأمنيون، بل حتى السياسيون بأن الإرهابي يتميّز ببشرته السمراء، وهو بذلك إما عربي أو إفريقي أو آسيوي من المسلمين، كأن يكون مثلاً من باكستان أو أفغانستان أو بنغلاديش أو أندونيسيا... وهم يرونه بالضرورة مسلماً. وهي صورة أول ما تتبادر إلى أذهان رجال الأمن الغربيين، عند حدوث أي عملية إرهابية، بل حتى عند وقوع حادث عرضي.

قد يُتهم أفراد ذوي أصول عربية أو أسيوية، وتسلط عليهم الأضواء، ويقدمون للمحاكم التي تثبت براءتهم ويطلق سراحتهم، لكن في سرية مقصودة، ودون أن يشير الإعلام لا إلى براءتهم ولا لعملية إطلاق سراحتهم. أما إذا كان الفرد أبيض البشرة وذا عيون زرقاء، ومن مواطني أحد الدول الغربية، أو كان غير مسلم فلا أحد يشته به، ولا يتعرض للتفتيش أو المساءلة. وحتى في حالة ثبوت حالة لإرهابيين غربيين، فعادة ما تعتبر جريمة عادية، ولا تسلط عليها الأضواء الإعلامية.

وهي نظرة قديمة تذكرنا بأحد الجزائريين "ابن داوود" وقد كان ضابطا عربيا في الجيش الفرنسي أثناء الاحتلال، ودفعته معاناته من العنصرية إلى التصريح بالقول: "عربي عربي ولو كان العقيد بن داوود". أي أنك مهما وصلت في تقريبك إلى فرنسا، وهي نموذج غربي، وتفانيك في خدمتها فإنك ستبقى عربيا في نظرتها. وهو ما نشاهده في تعاملات الغرب مع دول الخليج العربي. كما أن مهمة كثير من حكام الدول الإسلامية، أصبحت ملتزمة أمام الغرب بالتجسس على مواطنيها وتقديم المعلومات الاستخباراتية عنهم، إلى أجهزة المخابرات الغربية، وقد تسلّم بعض هذه الدول مواطنيها طواعية إلى أمريكا أو بعض الدول الغربية، والزج بهم في معتقلات سرية، أو معتقل غوانتانامو، أو تقديمهم لمحاکمات عسكرية غير عادلة بتهمة الإرهاب، وذلك في أحسن الأحوال.

وهكذا نجد الغرب يحافظ على بؤر التوتر وهو يشجع الصراعات الداخلية، مما يسمح له ببيع أسلحته، وهي أسلحة لا تستعمل إلا لكبت حرية الشعوب وقمع الانتفاضات الشعبية.

كما أن التعاون بين الأوروبيين والدول العربية المظلة على البحر الأبيض المتوسط، يركز في أولوياته منع الهجرة السرية إلى أوروبا، وبالتالي فالمطلوب من سكان الضفة الجنوبية لبحر الأبيض المتوسط، أي الدول العربية، القيام بدور الشرطي لمنع التدفق الإفريقي إلى الشواطئ الشمالية، وحماية الأمن الأوروبي.

أما التعاون التربوي والثقافي فالمراد به هو تدعيم التواجد الغربي في المجتمعات الإسلامية، إذ يعمل على بث ونشر لغاته وثقافته وسط الأجيال الصاعدة، وهو ما دفع فرنسا مثلا إلى إنشاء "المنظمة الفرنكفونية" والتي تغدق عليها في العطاء والميزانيات، من أجل نشر اللغة والثقافة الفرنسيتين بين الدول الإفريقية على الخصوص، وغزو اللغة العربية ومحاصرتها في عقر دارها ومواجهة توسع اللغة الإنجليزية في العالم، وخاصة بالدول النامية. كما أن إسبانيا قد دعمت "معهد سيرفانتيس" لنشر اللغة الإسبانية، ودعمت ألمانيا "مؤسسة غوثة" لتدعيم نشر اللغة الألمانية والتشجيع على تعلمها في ربوع العالم الإسلامي. كل هذا يجري والعرب مع ذلك غافلون، فمتى يستيقظون؟

6. الفشل العربي والانصياع للضغوط الغربية

أثمرت الضغوط الأمريكية والغربية عموما، في كثير من الأحيان في دفع بعض الدول العربية إلى التطبيع مع إسرائيل، بطريقة أو بأخرى، وتكريس واقع الخضوع للمخططات الغربية. وهكذا أصبح التطبيع واقعا اقتصاديا وإعلاميا. يتم التطبيع الاقتصادي أولا، وهو أحد شروط الانضمام إلى المنظمة الدولية للتجارة، والعمل على فتح أسواق الدول العربية للسلع الإسرائيلية، وهو ما اضطرت المملكة العربية السعودية، كغيرها من الدول التي رغبت في الانضمام إلى هذه المنظمة، إلى قبوله.

أما التطبيع الإعلامي فهو أكثر وضوحا للعيان من خلال المقابلات اليومية التي تجريها بعض القنوات العربية،

خاصة "قناة الجزيرة" القطرية، و"قناة العربية" السعودية، إلى جانب القنوات المصرية والأردنية والإماراتية، مع المسؤولين الإسرائيليين، الذين يساهمون في مختلف الندوات والحوارات، التي تنقلها هذه القنوات صباح مساء.

فهي إذن قنوات مسخرة لنقل أخبار ووجهات النظر وتصريحات الإسرائيليين والأمريكيين خاصة إلى المجتمعات العربية وتعزيز التطبيع معها وبدون مقابل. وفي معظم الحالات، يتم قطع البرامج العامة، ليتم نقل تصريحات السياسة الإسرائيليين والأمريكيين على حساب البرامج الأخرى... وقد تقدم كأخبار عاجلة مما يؤكد التبعية الإعلامية ويترجم واقع التطبيع مع إسرائيل.

كما أن هناك ضغوط على الدول العربية والإسلامية، أثمرت في إيجاد مناهج تربوية خالية من التعاليم الإسلامية، بدعوى الإصلاح والحداثة، ومسايرة التطور، ومحاربة العنف والإرهاب. وهكذا حذفت المفردات والنصوص التي يرونها تحريضية من مناهج التربية الإسلامية وأغلقت كثير من المدارس الدينية أبوابها في وجه الطلبة. وهو ما شاهدهه باكستان خاصة (مع نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي)، حيث كانت المدارس الدينية منتشرة انتشارا كبيرا، وطرد الطلبة الأجانب الذين كانوا يدرسون بها. فهي قضت على التربية الدينية والإسلامية، وفشلت في تقديم تعليم عصري بديل في مستوى الطموحات، لكون ذلك يحتاج إلى وسائل ضخمة وإمكانيات معتبرة، هي عاجزة عن توفيرها.

كما يسعى الغرب إلى ترويض الإسلام، وإفراغه من محتواه الجهادي الداعي إلى مثل الحرية والكرامة، ومواجهة الإحتلال والظلم، والتي أدى تفعيلها سابقا إلى التحرر عن الاستعمار. كما يسعى الغرب إلى حصر الإسلام في الشعائر الدينية، من صلاة وصوم وحج وقراءة القرآن على الموتى، أما الزكاة فيرون وجوب منعها لأنها قد تستعمل في تمويل الإرهاب. كما أنه يسمح للفقهاء ورجال الدين بالتصوف والغوص في تفاصيل الشعائر ومناقشة الاختلافات الفقهية بين الفرق والطوائف والمذاهب الدينية، وتشجيعهم على إدخال إصلاحات وتعديلات في الدين حتى يتناسب مع "التطور". وقد حاولوا الترويج لإمامة النساء لصلاة الجمعة. وهم يرون أنه بات معيارا للمساواة بين الجنسين، ولا بأس من التركيز على الزهد والتصوف والغوص فيهما.

وهكذا نجد العلاقات بين الشمال والجنوب، أي بين العالمين الغربي والإسلامي، علاقات غير متكافئة وغير متوازنة، وهو ما يجعل مآلها الفشل في تحقيق أي تقدم.

تداعيات الضغوط العربية على الأنظمة العربية:

لا تنحصر تأثيرات الحرب النفسية والضغوط السياسية على المواطن العربي، وإنما تعداها إلى أنظمة الحكم العربية، وقد أدت إلى مجموعة من النتائج. فقد زاد هيجان الغضب، واشتداد الضغوط والتهديدات الأمريكية على الدول العربية، بعد أحداث 11 سبتمبر 2001. وهو ما أدى بالدول العربية والإسلامية المغلوبة على أمرها إلى الخوف والارتعاد أمام أمريكا. وقد أدى ذلك إلى الانصياع إلى الأوامر والتوجيهات الغربية، وتنفيذ رغباتها، رغم المس بسيادتها وكرامة مواطنيها.

تتضح صور الخضوع والرضوخ، من خلال تطبيع بعض الدول العربية مع إسرائيل، وقبولها لتغيير مناهجها التربوية نزولا عند رغبات اليهود والأمريكيين، والتخلي عن برامج التسليح العسكري.

1. التطبيع مع إسرائيل:

أثمرت الضغوط الأمريكية والغربية، في مدّ إسرائيل بعناصر القوة، ووضع صعوبات ومشاكل أمام الدول العربية

والإسلامية وتوفير أسباب انهزامها، وهي عوامل أدت إلى هزم الجيوش العربية الرسمية، مما أرغم بعض الدول العربية إلى الاعتراف بإسرائيل، والتطبيع الرسمي معها.

وقد شاهدنا موقف بعض الدول العربية التي وقفت صراحة ضد المقاومة الإسلامية في لبنان، خلال حرب صيف 2006، لخوفها من إغضاب الولايات المتحدة الأمريكية. وطمعا في الظهور بمظهر يؤهلهم للانضمام إلى كتلة "المعتدلين".

2. الإنخراط في الحرب على الإرهاب:

انخرط غالبية الحكام العرب في "الحرب على الإرهاب"، وهي في حقيقتها حرب مقنعة على الإسلام. وقد صرح الرئيس الأمريكي جورج بوش بأن حربه على الإرهاب تأتي ضمن سياقات الحروب الصليبية. مع ذلك، قامت بعض الأنظمة العربية بإنجاز المهام القذرة لصالح الولايات المتحدة الأمريكية وسهلت عليها تنفيذ مخططاتها. وهكذا تحولت باكستان من دولة أوجدت طالبان ودعمتها أثناء الاحتلال السوفياتي، إلى نظام معاد ومحارب لطالبان بعد احتلال أفغانستان من طرف الولايات المتحدة وحلفائها، وساهمت في القبض على المئات من قادة القاعدة والمقاتلين العرب على أراضيها وتقديمهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يقبع غالبيتهم حاليا في معتقل قاعدة غوانتانامو.

إلى جانب قادة القاعدة، نجدها قبضت على أفراد آخرين، منهم من كان يشتغل في الجمعيات الخيرية والإنسانية، لمساعدة الأفغان والباكستانيين ومعالجة المرضى منهم، وسلمتهم إلى "قوات الحلفاء"، فاعتقلوا وأرسلوا إلى لجان التحقيق والمعتقلات الأمريكية، على أساس أنهم إرهابيون.

3. الوقوف إلى جانب الغرب في حربه الإعلامية:

ظهرت في السنوات الأخيرة عدّة قنوات فضائية، مثل قناة الجزيرة، وقناة العربية، وقد استبشر بها المسلمون خيرا. إلا أن ما يؤسف له أنه تبين فيما بعد أن مثل هذه القنوات ظلت تخدم موجة التطبيع مع إسرائيل، وتخدم المصالح الغربية. وهي تساهم في بث الضغوط الغربية، من تصريحات المسؤولين الغربيين وتهديداتهم، وتزيد من توسيع نشرها وإشاعتها. إذ لا يجرّ تصريح أو ندوة صحفية للقادة الغربيين والإسرائيليين، إلا وتوقف القنوات العربية براجها العادية، وتتسابق لنقلها مباشرة. ذلك أن الوقت الذي تستغرقه تغطية تصريحات وندوات الرئيس الأمريكي، أو الإنجليزي أو الإسرائيلي، أو بعض المسؤولين الغربيين، أكبر بكثير مما تستغرقه تغطية نشاطات كلّ المسؤولين العرب والمسلمين مجتمعين. إن كان المشاهد العربي عادة ما يتجنب مشاهدة القنوات الغربية، اتقاء لسمومها، إلا أن نفس الأفكار ونفس الضغوط ونفس السموم تصل إلى المواطن مترجمة عن طريق القنوات العربية. وقد أصبحت هذه الأخيرة متخصصة في اقتناص الأخبار السيئة في الوطن العربي، ونادرا ما تلتفت إلى أخبار سارة ترفع بها معنويات المواطنين. وبذلك أصبحت مصدرا للإحباط وزرع الهزيمة، عوض التحفيز على المقاومة والصمود.

فيوميا تصدر تهديدات لأحد الدول العربية والإسلامية، يتداول عليها مختلف المسؤولين الغربيين، فيوصلها الإعلام العربي إلى المجتمع المحبط وإلى المسؤولين المنهكين بالمشاكل التي تعرفها بلدانهم. وهكذا مرّ وقت كنا نسمع فيه يوميا تهديدات ضد صدام حسين، تنقلها وتبثها غالبية القنوات العربية، وهي الآن تنقل يوميا التهديدات ضدّ إيران ثم

التحديات والتصريحات المعادية لسوريا، وكذلك الحال بالنسبة للسودان، والبقية تأتي، والإعلام العربي يساهم في الضغط على مواطنيه. وهي خدمة مجانية يقدمها الإعلام العربي للدعاية والحرب النفسية الممارسة على المشاهد العربي خاصة، والمسلم عموماً.

وهكذا فإن القنوات الفضائية ليست مدافعة عن وجهة النظر العربية، وإنما هي في أحسن الأحوال محايدة، تقدم الأخبار كما تأتيها من وكالات الأنباء العالمية، بحيث تغطي على ما تستقبله من أخبار من الوكالات والدول العربية بسبب تخلفها. وبهذا أصبحت القنوات العربية التي تدعي الإستقلالية والحرفية، هي في الحقيقة أدوات عاكسة للإعلام الغربي للجمهور العربي وباللغة العربية، وهي نوافذ إضافية للإعلام والمهيمنة الغربيين.

أما دليل ذلك هو غياب الرأي الآخر في القنوات الغربية، وإن وجد فهو قليل وفي مواقف ضعيفة، وبصورة خجولة. في حين أننا تعودنا في القنوات العربية على بعض الوجوه الأمريكية والبريطانية والإسرائيلية، ووجوه المعارضة. وبهذا أصبح الإعلام العربي، ونتيجة الضغوط المركزة عليه، يخدم المصالح الغربية، التي تحاول إقناع المشاهد العربي بمخططاتها. كما أنها تعزز جهود عمليات التطبيع، وتسمح للإسرائيليين بالوصول إلى المشاهد العربي من خلال القنوات العربية.

4. تهجين المناهج التربوية وتهميش الكفاءات المحلية:

لقد تمت استباحة قطاع التربية الوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، واستدعي الخبراء الغربيون لوضع البرامج والمخططات التربوية والبحثية. وهكذا أفرغت البرامج التربوية من بعدها العقدي والقيمي وحتى التاريخي. كما استبعدت مجالات البحث الحساسة في الفيزياء النووية مثلاً، وأصبحت من المحرمات التي لا يسمح الغرب بالتعرف على أسرارها، وإلا اتهمت الدولة برغبتها في امتلاك أسلحة الدمار الشامل، ويحصل لها ما حصل للعراق. كما اعتمدت سياسة التهميش والإهمال في حق الباحثين والمبدعين، والكفاءات المختلفة، من أجل تشجيعها على الهجرة إلى حيث ينتفع بخبراتها في الجامعات ومراكز البحث بالدول الغربية، وكل ذلك وفق خطط مدروسة. وهكذا تنفذ حرب خفية في غفلة عن الرأي العام ووسائل الإعلام، وسوف تكون نتائجها وخيمة على مستقبل الأمة.

5. التخلي عن برامج الصناعات العسكرية:

تمتع القوى الغربية بكلّ السبل السماح للدول العربية والإسلامية من امتلاك قدرات صناعية وتكنولوجية، تسمح لها باكتساب استقلاليتها، عن الدول الغربية المصنعة. وليس بغريب أنها السبب الرئيسي لعدم تمكن الجامعة العربية من إيجاد تعاون وتقارب سياسي وتجاري وصناعي، بل أن القوى الغربية تعمل على إطالة وضعها الحالي، الذي يتسم بالضعف والتخلف.

هناك ضغوط قوية على الدول العربية، من أجل منعها من القيام بأي تطور علمي حقيقي، وتصنيع وسائل الدفاع عن الذات.

أبرز ظاهرة للخوف ما شاهدناه مع ليبيا، التي أنفقت ملايين الدولارات على برامج للبحث والتطوير واقتناء المعدات في مجال التكنولوجيا النووية والكيمياء، ولكنها خوفاً من أمريكا، ومن أن يحدث لها ما حدث للعراق، فإن القائد

الليبي السابق معمر القذافي استسلم وسلّم كلّ شيء أنجزه إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وهكذا أعلنت ليبيا توبتها ورضوخها للضغوط السياسية والإملاءات الغربية.

وقد تمّ القضاء على برامج جديدة للبحث العلمي في مختلف المجالات الإستراتيجية بالدول العربية، وبقي البحث الحالي هو عبارة عن جعجعة مطاحن دون طحين.

7. الربيع العربي ومستقبل للتدافع الحضاري

إن المتفحص لواقع الدول العربية التي مستها ثورات الشباب فيما أصبح يُعرف بالربيع العربي، هي الدول التي حكمها دكتاتوريون لعقود طويلة، والذين كانوا أكثر رضوخا للقوى الغربية ويأتمرون بأوامرها. من هؤلاء القادة نجد الرئيس المصري حسني مبارك، والرئيس التونسي زين العابدين بن علي. كذلك الرؤساء العرب الآخرين بما في ذلك معمر القذافي وبشار الأسد وعلي عبد الله ناصر، وقد كانوا يعلنون لشعوبهم أشياء مغايرة عما يجرونه من اتفاقيات مع القوى الغربية ويتعاملون معها ضد مصالح بلدانهم وضد مواطنيهم، الذين حكموهم بالحديد والنار. لهذا ليس بغريب أن تظهر انتفاضات شبابية في هذه الدول.

كما أن للمسجد دور كبير في هذه الثورات مما يؤكد ما لها من طابع حضاري، وأنها ردود أفعال على رضوخ الحكام العرب للقوى الغربية. لذا ليس بغريب أن تكون أولى الانتخابات في دول الربيع العربي لصالح الأحزاب والحركات الإسلامية، وهو ما شاهدناه في نجاح الحزب العدالة والتنمية ذا الاتجاه الإسلامي في المغرب وحركة النهضة بتونس وحركة الإخوان المسلمين بمصر.

وهو ما يرسم معالم مستقبلية للصراع الحضاري بين الإسلام والغرب. وأن الشباب الإسلامي سيعمل على التكيف مع متطلبات العولمة ويستغل تكنولوجيا الإعلام والاتصال وسلاح العلم والتكنولوجيا والمنظومة التربوية لصالح تدعيم مواقعه في الصراع، وستكون الأجيال الحالية أكثر قوة وأكثر ثقة بنفسها وبعقيدتها، وأكثر استقلالية عن الهيمنة الغربية، وهو ما سيكسبها قدرا أكبر من الاحترام، وقد يضطر الغرب إلى التعامل مع العالم الإسلامي وقادته بقدر أكبر من الاحترام عما كانوا يعاملون به قادة الدول العربية والإسلامية منذ سقوط العرب والمسلمين وانحطاطهم إلى اليوم.

8. خاتمة

لقد تم الرضوخ للضغوطات الغربية في كل الدول العربية تقريبا، أما الدول التي قاومت وصمدت في وجه الضغوط نجد أنها حققت قدرا كبيرا من القوة والاستقلالية. وهو ما نجده في إيران وماليزيا، حيث قطعنا أشواط واسعة نحو التقدم الصناعي والتكنولوجي والسياسي وحققتنا قدرا لا يُستهان به من الاكتفاء الذاتي في مختلف المجالات. وهو ما أدى إلى الوصول إلى مستوى جيد من الأمن الغذائي والعسكري واستقلال القرار السياسي.

تمتلك الدول العربية إمكانيات كبيرة وقدرات بشرية ومالية معتبرة، إلا أن خضوعها للهيمنة الأمريكية واستسلامها لضغوطها، وجنوحها إلى السلم والصلح مع إسرائيل بطريقة مذلة ومهينة كبلت قدراتها، وحيّدتها عن الصراع الحضاري الذي يعرفه العالم. كلّ ذلك عزز من أمن إسرائيل وسمح بإطلاق أيديها في التنكيل بالفلسطينيين، وحيّد الجيوش العربية عن معارك تمس الأمن القومي للدول العربية، وعزز مساهمتها سياسيا وعسكريا في ضرب العراق، ولكل ذلك انعكاسات على مجريات الصراع.

وهكذا نستنتج أن الإنسان المسلم يعاني من ضغوط متعددة، من تعسف في طرائق الحكم وممارساته، ومن أزمات اقتصادية، حيث يتفشى الفقر والحاجة. كما يعاني من بيروقراطية خانقة، ومن ضغوط سياسية داخلية وأجنبية، جراء الحروب والتهديدات والحملات الصحفية المشنة ضد العرب والمسلمين. كما أن ملاحظة المواطن العربي لهذا الاختلاف والتشرد بين القادة العرب، وولاء بعضهم لحلف أمريكا ضد مصالح الأمة العربية الإسلامية، يزيد من تدمير المواطنين ويأسهم وشعورهم بالنعمة على أوضاعهم وحكامهم.

كما أن الكثير مما تعاني منه الشعوب الإسلامية هو نتيجة الصراع الدائر بين الإسلام والغرب للحفاظ على تخلف المسلمين لأطول مدة ممكنة وتأخير استيقاظهم من غفلتهم، حتى يمكن استغلال خيراتهم لأطول مدة ممكنة. وهو ما يتطلب من الأجيال الصاعدة التسليح بالعلم والتكنولوجيا واعتماد أساليب ديمقراطية للتبادل على السلطة، حتى يمكن التفرغ لمواجهة المشاكل والتحديات الحقيقية للأمة في عصر التحديات الذي تنعدم فيه الرحمة للضعفاء.

المراجع

القرآن الكريم

عبد الله عبد الرزاق إبراهيم (1989) المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، (الكويت: عالم المعرفة).

غيات، بوفلجة (2004) بين حضارة القوة وقوة الحضارة (وهران: دار الغرب).

غيات، بوفلجة (2006) الحرب النفسية وإحباطات الإنسان العربي (وهران: دار الغرب).

فوكوياما (1993) نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ترجمة فؤاد شاهين وجميل قاسم ورضا الشايبي، مركز الإنماء

القومي، بيروت.

مجلة البيان (1424 هـ - 2003 م) مستقبل العالم الإسلامي: تحديات في عالم متغير، تقرير إستراتيجي سنوي،

الرياض.

ولد خليفة محمد العربي (1998) النظام العالمي: ماذا تغير فيه؟ وأين نحن منه؟ (الجزائر: ديوان المطبوعات

الجامعية).